الحركات الطلابية وصناعة القرار

بدر زيتوني(*)

رئيس المنتدى الدولي الطلابي. باحث في العلوم القانونية والسياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط ـ السويسي، المغرب.

مقدمة

أضحت الطبيعة الراهنة للمنظومة الدولية المتَّسمة بالتشتُّت وتعدُّد المتدخلين والفاعلين في مسلسل صناعة القرار على المستوى الدولي تفرض منطقًا جديدًا في العلاقات الدولية، بل إن المنظومة الدولية اليوم أصبحت أكثر هشاشة من التأثير فيها من مختلف المتدخلين باختلاف أنواعهم أو أطيافهم؛ فالتأثير في القرارات الدولية اليوم ليس حكرًا على الأغلبيات كما على الأقليات والمجموعات العرقية والإثنية والسياسية وغيرها، كما أضحى لكل من الشباب والنساء مكانة متمايزة تؤثر وتصنع القرار على المستوى الدولي. وبالعودة إلى الطلاب بوصفهم الفئة الشبابية الأكثر فاعلية من التأثير على مختلف الصعد، برزت مكانة هاته الفئة الأخيرة بفعل عدة محددات ومتغيرات اجتماعية وسياسية في المقام الأول، جنبًا إلى جنب مع محددات أخرى؛ فأخذت الحركات الطلابية تنبض كشرارة أمل أو فتيل ثورة، بل أضحت البيئة الطلابية معتركًا لصراع سياسي انتقل من قلب إطاره التشريعي المنظم صوب صخب الجامعات وحماسة الشبان والشابّات الطلاب.

إن تزايد نفوذ وتأثير الحركات الطلابية في مسلسل صناعة القرار وفي المشهد السياسي الدولي بوجه عام أسهمت فيه محددات متعددة، على رأسها تشبُّع المناخ الدولي بحماية الحقوق والحريات التي تأتي في مقدمها حرية التعبير وحرية التظاهر علاوة على مناخ العولمة والتقدم التقاني وتسهيله للوصول المفتوح إلى المعلومات من طريق المسطحات الرقمية من مواقع للتواصل الاجتماعي وغيرها، التي تحمل المعلومة كما تعمل على حمل المشاعر الجماعية من خلال مجموعة من الميكانيزمات الرقمية وعلى رأسها الهشتاغات. هذا الميكانيزم، رغم حداثته نسبيًّا، هو

(*) البريد الإلكتروني: badrzitouni03@gmail.com

مثل علامة فارقة في النضال الطلابي بوجه خاص، والاحتجاجات والانتفاضات بوجه عام، ولا سيّما في ظل العقد الحالي، ينضاف إلى ذلك مناخ القومية المشتركة التي تنقل المشاعر المشتركة ـ بما في ذلك الاحتجاجات ـ كما هي الحال مع القومية الأوروبية في ثورات ربيع براغ على سبيل المثال لا الحصر، وكما هي الحال أيضًا مع القومية العربية التي أفرزت لنا الربيع العربي.

ويجد الشباب مكانته في تكوين التاريخ عبر مختلف المحطات، ليس هذا فقط بل إن مجموع الثورات التي شهدتها البشرية كان للشباب والطلاب دور فيها بشكل من الأشكال.

استطاعت التنظيمات الطلابية، من خلال مجموعة من المحطات البارزة التي طبعت التاريخ، أن تخلق لنفسها مكانة متميزة داخل الأوساط السياسية الوطنية والدولية، إذ إن تأثيرها الملموس أخذ يستأثر الفاعلين السياسيين وصناع القرار على المستوى الدولي انتقلت معه الحركات الطلابية من فاعل مستجد محدود التأثير الذي يمكن وصفه حد الهامشي، أو العابر داخل الحياة السياسية إلى قوة دافعة ومحورية في مسلسل العملية السياسية حيث أضحت معه الحركات والتنظيمات الطلابية ليس مجرد منصة للتعبير عن طموح الشباب، بل أصبحت وسيلة فاعلة وبارزة داخل الحياة السياسية تسأل السلطة السياسية، وتطالب بإصلاحات وتؤثر في مسار صناعة القرار وتحديد الأولويات في المشاريع الحكومية. أكثر من ذلك فقد صنعت هاته التنظيمات الطلابية على المستوى الدولي مكانة خاصة في مسلسل صناعة السياسات العمومية لتتفوق على الفاعلين التقليديين داخل المسلسل من جماعات للضغط ونقابات من خلال قدرتها على احتكار الرأي العام وتكوينه والتأثير في الأجندة السياسية الوطنية والدولية؛ علاوة على قدرتها على توسيع نفوذها من الإطار الوطني نحو الإطار الإقليمي ثم الدولي، وهو ما يخلق معه شبكة للتضامن واسعة النطاق يمكن أن يمتد نطاقها إلى دول العالم وتعمل من خلالها على توجيه الرأي العام الدولي نحو قضايا جوهرية وتدفع المنتظم والمجتمع الدوليين تجاه تبنّي مطالبها وأخذ خطوات وتغيير سياسات، كان يستعصي التأثير فيها من جانب مختلف الفاعلين بل وحتى أقواهم، والتاريخ يشهد على ذلك.

وانطلقت الحركات والاحتجاجات الطلابية كطليعة للنضال ضد الاستعمار وإسقاط الديكتاتوريات والنضال في وجه اللاعدالة، نحو مرحلة ومنطق جديدين للتأثير في إعادة تكوين منطق العملية السياسية على المستويين الوطني والدولي.

فتتجلى أهمية البحث في الوقوف على التحول في طبيعة الحركات الطلابية التي انطلقت من تأثير محدود لا يتجاوز المحيط الجامعي نحو التأثير والتحكم في صناعة القرار بل على الأكثر من ذلك التحكم في مسار العملية السياسية واستمرارية الأنظمة من عدمه وتشكيل معالم الدولة ومكوناتها. ليس هذا وحسب، بل تعدّاه إلى التأثير في صنع القرار على المستوى الدولي من داخل المنظومة الأممية وخارجها بشأن مجموعة من الإشكالات حتى ولو كانت بعيدة الأثر على الجسم الطلابي.

من هنا تبرز أهمية الموضوع من خلال الإجابة عن إشكالية أساسية تسأل عن موقع الحركات الطلابية في تكوين المشهد السياسي والتأثير في مسلسل صنع القرار الدولي؟

وتتمخض عن هاته الإشكالية مجموعة من التساؤلات ذات الأهمية من قبيل: ـ أي تأثير للحركات الطلابية في واقع الحياة السياسية؟ ـ أي دور للحركات الطلابية في مسار النضال ضد

الاستعمار؟ ـ على أي مستوى يمكن استجلاء دور الحركات الطلابية في تكوين أهم الأحداث التاريخية؟ ـ ما مكانة الطلاب في رسم سياسات مستقبلية والتأثير في أخرى؟

أولاً: الحركات الطلابية النشأة والتأثير

تعدّ الحركات الطلابية ظاهرة حديثة العهد، لكن قديمة النشأة. ورغم ذلك استطاعت الحركات الطلابية أن تخلق لنفسها مكانة خاصة في العصر الحديث ويعود ذلك إلى الميكانيزمات الاجتماعية والنفسية لهاته التنظيمات والتي سنحاول ملامستها من خلال تدارس دورها في مسار النضال ضد الاستعمار في أفريقيا.

1 ـ الحركات الطلابية: التأصيل والسوسيولوجيا

تجد الحركات الطلابية مكانها في التأثير في مختلف المسارات التاريخية من خلال الاحتجاجات والثورات وتعمل وفق مقاربة قائمة على التعبئة الجماهيرية وغيرها. هذا ما سنعمل على تبيانه وعلى تحديد الإطار التاريخي لهاته الحركات الطلابية.

أ ـ سوسيولوجيا الحركات الطلابية

تعدّ الاحتجاجات ظاهرة وسلوكًا إنسانيًا واجتماعيًا بامتياز يضرب بعمقه التاريخ، ولا سيّما بعد ميلاد الدولة ككيان يحتكر السلطة ويحدّ من الحقوق والحريات داخل المجتمعات البشرية. ويعدّ هذا الأخير سلوكًا يلجأ إليها الأفراد والمجتمعات، ونوعًا من أنواع العمل الجمعي، الذي يستهدف تحسين الظروف الشخصية للفرد كما الجماعة. والفعل الاحتجاجي حق من الحقوق المشروعة، وآلية للتعبير عن نقص أو ضرر نفسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي أو ثقافي، وتعبر الأشكال الاحتجاجية بوجه عام عن دينامية المجتمعات البشرية بغضّ النظر عن الدوافع والأسباب المحركة للفعل الاحتجاجي[1].

تختلف شرائح المحتجّين باختلاف الدوافع بين الرجال والنساء وبين الشباب والشياب وبين الأُجراء والعاطلين من العمل، فتختلف التركيبة البشرية للمحتجين باختلاف موضوع الاحتجاج، إلا أن هذا لا ينطبق على الشباب ولا سيّما فئة الطلاب، فالجسم الطلابي يتأثر ويؤثر في محيطه الاجتماعي بوصفه جزءًا لا يتجزأ من التركيبة المجتمعية؛ بل يعدّ عنصرًا منتجًا وفاعلاً فيها على نحو يخوله التأثير داخل الوسط المجتمعي، ويتجسد تأثير هذا الأخير أساسًا في احتجاجات طلابية تختلف دوافعها ومحركاتها بين:

(1) الدوافع السياسية: الدفاع عن الحقوق والحريات؛ الدفاع عن النظام الديمقراطي، معارضة سياسات حكومية؛ والاحتجاج ضد الفشل الحكومي أو تقاعس حكومي في مجالات الصحة والتعليم والغذاء والفقر والفساد وغيرها.

---

(1) طارق محمد الديراوي وفايز خضر بشير، «سلوك الاحتجاج لدى طلبة الجامعات من منظور نفسي وقانوني،» ورقة قدمت إلى: المؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الأول «نرتقي بوعينا من أجل طلبتنا رؤى علمية لتحديات واقعية»، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي ـ العراق، كانون الأول/ديسمبر 2020، ص 9.

(2) الدوافع الاقتصادية: معارضة السياسات الضريبية، والتضخم، والتشغيل، والأجور، وارتفاع الأسعار، وأنظمة التقاعد وغيرها.

(3) الدوافع الاجتماعية: تبنّي الدفاع عن مشاكل مجتمعية من قبيل حماية الأسرة، والمساواة حماية الطفولة، وتوجهات مذهبية ودينية وعقائدية، وحماية الشباب، والعدالة الاجتماعية وغيرها.

(4) الدوافع المرتبطة بالمحيط الأكاديمي: الاحتجاج ضد الأنظمة والقوانين واللوائح ذات الصلة بالحياة الأكاديمية والتعلمية أو ذات صلة بالحدود المطبقة داخل الوسط الجامعي من تقييد للحقوق والحريات المدنية والسياسية والثقافية والاجتماعية والفنية وغيرها، أو احتجاجات في وجه الجسم الأكاديمي من أساتذة وإداريين.

(5) دوافع أيديولوجية: الدفاع عن الأقليات العرقية والإثنية؛ الدفاع ضد التمييز العنصري، الدفاع عن حقوق مجتمع الميم؛ الدفاع عن توجهات ومعتقدات أيديولوجية وسياسية (الرأسمالية، الاشتراكية، اليسارية، الليبرالية والنيولبرالية. ...).

(6) دوافع إنسانية: الدفاع ضد حالات الظلم، والاقصاء، والحروب، والصراعات، والقتل، وانتهاكات ضد الإنسانية، والترهيب، والإرهاب، والاحتلال، والفصل العنصري، والاضطهاد، والعبودية، والدعوة إلى إحلال السلم.

(7) دوافع مرتبطة بالتنمية والعيش المشترك: الدفاع عن أهداف التنمية المستدامة؛ التصدي للتغير المناخي، والحياة الإيكولوجية وحماية البيئة والطبيعة والماء؛ تشجيع الصناعات الصديقة للبيئة، ومحاربة الصناعات الملوثة والسياسات التي لا تحد من التلوث بمجمل أنواعه من انبعاث الغازات الدفيئة إلى تلويث المحيطات وغيرها.

استطاعت التنظيمات الطلابية، من خلال مجموعة من المحطات البارزة التي طبعت التاريخ، أن تخلق لنفسها مكانة متميزة داخل الأوساط السياسية الوطنية والدولية، إذ إن تأثيرها الملموس أخذ يستأثر الفاعلين السياسيين وصناع القرار على المستوى الدولي.

بل إن تركيبة الطالب لا تخرج عن المألوف، فهي نابعة ومتأثرة بالسلوك الإنساني، فالطالب في واقع الأمر هو ظاهرة إنسانية لا تنفصل عن المجتمع بل تكمله، فالطالب يخيم عليه سلوك التطلع إلى المعرفة من خلال العلم والتجربة، كما أن الطالب بوصفه عنصرًا اجتماعيًا فهو يطمح إلى الدخول في مجموعات تُحسِّسهُ بشعور الانتماء؛ وهذا ما يجده في التنظيمات الطلابية التي تحتوي أفكاره وأيديولوجياته وتشعره بالانتماء للمجموعة وتدفعه نحو حمل المشاعر المشتركة السلبية والإيجابية وتدفعه إلى تبني خطوات لمصلحة تلك القضايا المشتركة من قبيل الاحتجاجات أو الاعتصامات أو التعبير بمختلف الأشكال السلمية وغيرها ومن خلال مجموعة من الآليات الرقمية والواقعية وغيرها.

ويتسم المحيط الجامعي بكونه بيئة حاضنة ناشطة تدفع الفرد نحو ممارسة الفعل الاحتجاجي، فالجامعة تنضوي على قدر كبير من الأبعاد السياسية والتفاعلات والصراعات، وتتعرض لكثير من المؤثرات، كما تمثل الجامعة بيئة مواتية لتطوير التنظيمات والحركات الطلابية، فهي توفر بيئة فكرية نشطة تؤكد القيم الفكرية والمثل العليا التي قد تدعو إلى التشكيك في المعايير الاجتماعية والسياسية السائدة، سواء كان ذلك من خلال طرائق البحث والتدريس

التي تنتهجها أو التي قد تشجع على نقد الأوضاع الاجتماعية السائدة. كما توفر الجامعة لطلابها فرص تأليف جماعات إيكولوجية حيث يتجمع بداخلها عدد كبير من الطلبة، وهذا التجمع الفيزيقي يساعد على وجود نوع من التجانس ويؤسسه من طريق الاشتراك بالقدر نفسه في واحدة أو أكثر من الاهتمامات والمشكلات بحيث يتكوّن لديهم بعض الخصائص التي تؤدي بدورها إلى تأكيد هوية موحدة تصير أساسًا لموقف واحد ضد أي آخر يهدد هذه الجماعة من الخارج[2].

ب ـ التأصيل التاريخي للحركات الطلابية

تجعل الطبيعة السلوكية للفعل الاحتجاجي والعملية الاحتجاجية من هاته الظاهرة سلوكًا ملازمًا للطبيعة الإنسانية يمكن وصفها إلى حد كونها نشأت مع ميلاد البشر أو بالأحرى المجموعات البشرية التي تمخضت عن تطور الفرد عبر نظرية التطور العائلي حيث يكون معه الاحتجاج داخل الأوساط البشرية من العائلة نحو القبلية والعشيرة والقرية والمدينة شيء لا يمكن نكرانه. ويتخذ الاحتجاج مظاهر متعددة تتأرجح بين السلمية والعنيفة وغيرها. بالرجوع إلى الاحتجاجات الطلابية والحركات الطلابية فلا مناص من القول بملازمتها ظهور الجامعات، فيمكن القول إن ميلاد الاحتجاجات الطلابية ظهر مند النشأة الأولى للجامعات كمؤسسة تعليمية ومؤسسة للتفكير والبحث العلمي والمعرفي.

(1) فرنسا عام 1200: بوجه عام، ترجع الدراسات التاريخية ظهور الفعل الاحتجاجي النابع من الجسم الطلابي، إلى القارة الأوروبية، وبالتحديد في فرنسا، حيث شابت مجموعة من العمليات الاحتجاجية وأعمال الشغب من لدن طلاب جامعة باريس. وترجع دراسات إلى نشوب أعمال شغب في باريس من جانب الطلاب عام 1200 قوبلت بالقمع وسقط في إثرها مجموعة من الطلاب، إلا أن مفاوضات أرجعت الجامعة إلى العمل بعد تقديم مجموعة من التنازلات لمصلحة الجامعة من الكنيسة ولا سيّما بعد إطلاق ما عرف بالمرسوم الثوري الذي ستتحول تسميته فيما بعد إلى الميثاق الأعظم لجامعة باريس والذي بموجبه منح مجموعة من الحقوق للطلبة والأساتذة وكذا تقليص نفوذ الكنيسة على الجامعة مع الإبقاء على سلطة مباشرة من طرف البابا[3].

(2) إنكلترا عام 1355: في إنكلترا، وعلى غرار التجربة الفرنسية، شابت احتجاجات داخل أروقة جامعة أُكسفورد لتتحول إلى مواجهة دامية راح ضحيتها مئات من الطلاب والمواطنين من بلدة أكسفورد في إنكلترا. وتدور أطوار الخلاف الذي عُرف بـ «أعمال شغب يوم القديسة سكولاستيكا»، والذي بدأ مع شكوى طلاب من جامعة أكسفورد من جودة النبيذ المقدم في إحدى الحانات المملوكة لعمدة المدينة نتج منها مواجهات بين الطلاب وصاحب الحانة والمواطنين. وبعد ليلة دامية حشد عمدة المدينة من خلال الحرس والمواطنين وحشود من سكان القرى المجاورة الذين تجاوز عددهم

---

(2) خالد صلاح حنفي محمود، «الاحتجاجات الطلابية لطلبة الجامعات العربية: رؤية نقدية،» **مجلة ضياء للبحوث النفسية والتربوية** العدد 3 (تموز/يوليو 2022)، ص 47.

(3) Damian Andres Rivas, «The Other Sermon: The Strike of the University of Paris (1229-31) as a «School of War» of the Intellectual of the System,» *Sociedades Precapitalistas*, vol. 9 (2019), pp. 41 and 153.

الألفين حشدوا العصيَّ والأسلحة للهجوم على طلاب جامعة أكسفورد الأمر الذي استدعى تدخل طلاب جامعة بإغلاق أبواب المدينة. إلا أن ذلك لم يمنع من سقوط العشرات من القتلى في صفوف الطلاب وهروب المئات إلى مدن أخرى. وبعد تدخل الملك إدوارد الثالث تم تغريم المدينة وإرسال الحرس والعمدة إلى السجن، وأصدر الملك ميثاقًا ملكيًّا يضمن حقوق الجامعة على المدينة وخص مستشار الجامعة بحق فرض الضرائب على الخبز والمشروبات وسلطة فحص الأوزان ومجموعة من الحقوق التجارية وغيرها من الامتيازات الملكية للجامعات بمن فيهم جامعة أكسفورد[4].

2 ـ الحركات الطلابية ومسارات التحرر الوطني في أفريقيا

يتسم المحيط الجامعي بكونه بيئة حاضنة ناشطة تدفع الفرد نحو ممارسة الفعل الاحتجاجي، فالجامعة تنضوي على قدر كبير من الأبعاد السياسية والتفاعلات والصراعات، وتتعرض لكثير من المؤثرات، كما تمثل الجامعة بيئة مواتية لتطوير التنظيمات والحركات الطلابية.

على مر التاريخ ومرورًا بأحداثه السلبية والإيجابية التي غّيرت مساره كان العنصر الطلابي وما يزال الحلقة الأبرز والأهم في تكوين مسار الأحداث التاريخية تلك أو تغييرها، بل إن مجموع الأحداث التاريخية المهمة في العصر الحديث وذات الوقع الإيجابي على مسار الحياة الاجتماعية والسياسية على المستوى الكوني ولدت من رحم دفعة إيجابية ولو بسيطة من جانب الجسم الطلابي، والتاريخ يشهد على ذلك.

تعدّ الحركات الطلابية لاعبًا محوريًا في العمليات الثورية والاحتجاجية ونسج المشاهد التحررية وعمليات الانتقال الديمقراطي في مجموعة دول العالم بل على الأكثر من ذلك يمكن وصف الحركات الطلابية كونها الفئة الأكثر فاعلية داخل المشهد والحياة السياسية على امتداد مجموع الأقطار. وتحديدًا عند تدارس الحركات الاحتجاجية التي وصمت التاريخ الحديث فلا يمكن الحديث أو تصور قيام احتجاجات بمعزل عن الطلاب.

وبالرجوع خطوة إلى الوراء بالتاريخ نجد أن العنصر الطلابي قد أثر من خلال مجموعة من المحطات في واقع الأحداث، على رأسها اندلاع الحرب العالمية سنة 1914، حيث عمد غافريلو برينسيب الطالب الصربي الأصل ـ في عقده الثاني ـ إلى اغتيال ولي عهد النمسا في بلدة سراييفو عاصمة النمسا، حيت دفعته قوميته البوسنية إلى الانضمام إلى حركة عرفت بالبوسنة الشابة والتي تضم بوسنيين وصربًا، غير أن المؤرخين اختلفوا حول خلفيات المنتمين إليها بأن لهم خلفيات تعليمية طلابية كالطالب الصربي غافريلو وغيرهم. غير أن الكتابات ارتكزت حول هاته الحركة

(4) *The History and Antiquities of the University of Oxford* (Oxford: Printed for the editor, 1792), vol. 1, p. 465.

على شباب ثوار[5]. وبوجه عام، وحتى إن كان لوقع هذا الحدث وصمة عار على جبين التاريخ، إلا أن الحركات الطلابية ساهمت في مجموعة من المحطات في إحداث تغيير ولا سيّما في مواجهة الظلم والتعسف وغيرها.

أ ـ جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا (فرنسا)

أدى الجسم الطلابي والتنظيمات الطلابية دورًا محوريًّا في قيادة الحركات التحررية في بلدان القارة السمراء، ولا سيّما في بلدان شمال أفريقيا، إذ كانت جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا، التي تأسست على يد ثلة من الطلاب ذوي الأصل المغاربي في أواخر سنة 1919[6]، تنشط من داخل الأوساط الجامعية الفرنسية واتخذت باريس منطلقًا لتكثيف الجهود لضرب وتعرية نيّات الأطماع الاستعمارية للمحتل الفرنسي.

أُنشئت الجمعية الطلابية تلك بغية جمع شمل الطلاب المغاربيين الدارسين في الجامعات الفرنسية والباريسية، وضمت هاته الأخيرة الأعضاء الذين سوف يحملون في ما بعد مشعل الحركات التحررية في بلدانهم. في مقدمة هؤلاء الطلاب علال الفاسي وبلا فريج من المغرب، وصالح بن يوسف وبورقيبة وسالم الشاذلي من تونس، إضافة إلى بعض الجزائريين أمثال فرحات عباس وبن جلول. وكانت الجمعيات المغاربية الأكثر انتشارًا وحركية بباريس من خلال نشاطات روادها في الصحافة والتجمعات ومن بين وسائل الجمعيات الطلابية تلك في نضالها نشر الصحف والمجلات والنشرات والملصقات مثل **جريدة المغرب** التي كانت تصدرها جمعية طلبة شمال أفريقيا والتي أصدرت كتاب **عاصفة على المغرب** الذي أحدث زلزالاً عنيفًا في الوسط الاستعماري الفرنسي[7].

ب ـ جمعية الدفاع عن المطالب المغربية (مصر)

انتقلت النضالات الطلابية ضد المستعمر عبر مختلف الاقطاب حملها الطلبة المغاربيين على رأسهم الطلبة المغاربة.

أسس الطالبان المناضلان عبد الخالق الطريس وأحمد بلافريج في 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 1930 «جمعية الدفاع عن المطالب المغربية»، كأول هيئة سياسية تدافع عن المطالب المغربية حيث تركز نشاطها في مصر على التعريف بالحركة الوطنية المغربية، والجهود التي تبذلها في سبيل تحقيق أماني الشعب المغربي، ولا سيّما أن تأسيسها جاء عقب إقدام السلطات الفرنسية على استصدار الظهير البربري في 16 أيار/مايو 1930، وقد أخذت على عاتقها مهمة نشر البلاغات والنداءات في الصحف المصرية، علاوة على إقامة المهرجانات الخطابية في مختلف النوادي والجمعيات المصرية، على غرار نوادي الشبان المسلمين، قصد التشهير بالسياسة

---

(5) Dejan Djokić, *Yugoslavism: Histories of a Failed Idea, 1918-1992* (London: C. Hurst and Co Ltd., 2003), p. 24.

(6) كمال بيرم، «دور الحركات الطلابية والنخب الأفريقية في حركة تحرير أفريقيا: مساهمة تاريخية،» **المجلة التاريخية الجزائرية**، العدد 4 (أيلول/سبتمبر 2017)، ص 184.

(7) المصدر نفسه.

الفرنسية في المغرب الأقصى، وتوضيح الأهداف التي تريد السلطات الفرنسية الوصول إليها من خلالها، متحدّية الظروف الصعبة التي كانت تواجهها. لقد مهدت تلك التحركات الطريق أمام مصر للاحتجاج بقوة على سياسة فرنسا البربرية التي تطبقها في المغرب الأقصى، فعودة الحسن بوعياد كما أسلفنا ساهمت في تحريك الرأي العام المصري ضد السياسة البربرية، عبر اتصالاته مع رفاقه في الداخل والخارج حيث أخذت جل شرائح الشعب المصري تشهر بهذه التصرفات الفرنسية، من خلال الصحافة والجمعيات والنوادي التي استغلها المصريون في مساندة الجهود المغربية ضد طغيان فرنسا مثل **الفتح**، و**المنار**، و**المؤيد**، وغيرها[8].

ج ـ ثورة 19 في مصر

أدى الجسم الطلابي والتنظيمات الطلابية دورًا محوريًّا في قيادة الحركات التحررية في بلدان القارة السمراء، ولا سيّما في بلدان شمال أفريقيا، إذ كانت جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا تنشط من داخل الأوساط الجامعية الفرنسية واتخذت باريس منطلقًا لتكثيف الجهود لضرب وتعرية نيات الأطماع الاستعمارية للمحتل الفرنسي.

ليس هذا وحسب، حتى في المشرق حيث قاد الطلاب المصريون النضال ضد المستعمر البريطاني. اندلعت الثورة في 9 آذار/مارس 1919، حين خرج طلاب مدرسة الحقوق في جامعة القاهرة في تظاهرات للاحتجاج ضد الاحتلال البريطاني، واعترضوا على نفي زعيم الحركة الوطنية آنذاك سعد زغلول و3 من رفاقه إلى مالطا، وانضم إليهم طلاب مدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة ومدرسة الطب ومدرسة التجارة، والتحق طلبة الجامع الأزهر والمدارس الأخرى وقادوا تظاهرة كبرى انضم إليها من صادفها من الناس، وشاركت فيها شرائح واسعة من جميع أطياف الشعب. وكان الطلبة، ولا سيّما في المدارس العليا، هم وقود الثورة ومحركها ومع استمرار الثورة، أُجبرت بريطانيا على الخضوع لمطالب الشعب، وسمحت لسعد وزملائه بالعودة من المنفى. وكانت تلك الثورة شرارة استقلال مصر وتحريرها من الاحتلال البريطاني[9].

د ـ اتحاد طلبة غرب أفريقيا (لندن)

عرفت العاصمة البريطانية لندن ميلاد تنظيم طلابي هو الآخر حمل نحو بلدان الغرب الأفريقي الاستقلال والقطع مع الممارسات التي كانت تقع على مجموع الأراضي الأفريقية من

(8) فاتح بوفروك، «الرحلات الطلابية المغربية إلى مصر ودورها في دعم النضال الوطني المغربي خلال فترة الحماية 1912 ـ 1956م،» **مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية**، السنة 8، العدد 2 (2020)، ص 165.

(9) عاصم محروس عبد المطلب، **دور الطلبة في ثورة 1919** (القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، 1998)، ص 38.

مختلف البلدان المستعمرة وغيرها من رق وعبودية وتهجير وتطهير عرقي وفصل عنصري مجموعة من السلوكيات والممارسات اللاإنسانية والحاطّة بالكرامة. عمل هذا التنظيم الطلابي انطلاقًا من لندن على قيادة التغيير نحو منحى غيّر معالم دول غرب وجنوب أفريقيا، وتكوّن هذا الاتحاد الذي وصف بأنه أقوى التنظيمات الطلابية في أوروبا والمملكة المتحدة تحديدًا.

يتزايد نفوذ الحركات الطلابية وتأثيرها بعد كل محطة تاريخية، فمن خلال مجموعة من التغيرات ظهرت الاحتجاجات الطلابية كنوع من المقاومة الشعبية في وجه مجموعة من القضايا الاجتماعية المشتركة ولا سيّما في ظل القرنين الأخيرين.

تأسس اتحاد طلبة غرب أفريقيا مطلع سنة 1925 باندماج عدة تنظيمات طلابية أفريقية بحضور طلاب من نيجيريا وغانا وسيراليون وغامبيا، وعلى رأسهم كوامي نيكروما من غانا، وأوديسانيا واكبانا من نيجيريا، فضلاً عن جومو كينياتا من كينيا وشيخ أنتا محمد ديوب من السنغال، اللذين أديا دورًا مصيريًا في تحرير نيجيريا وغانا وغامبيا والنيجر، كما كان للتنظيم تأثير في شرق أفريقيا (كينيا وتنزانيا وأوغندا)، وعلى مسار النضال ضد المستعمر نحو قيادة التحرير لهاته البلدان[10].

حمل جومو كينياتا، العضو الكيني في الاتحاد الطلابي ذاك، مشعل الحركة التحررية وأضحى بذلك رئيسًا لكينيا، والأمر عينه حصل مع كوامي نكروما الذي أصبح هو الآخر رئيسًا لغانا، ومن الأعضاء من لم يصل إلى موقع السلطة قد أحدث هو الآخر تأثيرًا غيَّر مسار التاريخ. كذلك هي الحال مع الشيخ انتا محمود ديوب الذي قدم أول مقاربة تحليلية للمسألة الثقافة الأفريقية من طريق تميزها من خلال أطروحته التي حملت عنوان «الأصل الأفريقي للحضارة»[11]. وتعَدّ هذه الأطروحة نقطة تغيير في التاريخ حيث قعّد لنظرية الأصل الأفريقي للحضارة الإنسانية وأعاد بذلك الاعتبار للشعوب الأفريقية.

ثانيًا: الحركات الطلابية: الامتداد وقيادة التغيير

يتزايد نفوذ الحركات الطلابية وتأثيرها بعد كل محطة تاريخية، فمن خلال مجموعة من التغيرات ظهرت الاحتجاجات الطلابية كنوع من المقاومة الشعبية في وجه مجموعة من القضايا الاجتماعية المشتركة ولا سيّما في ظل القرنين الأخيرين، وسنعمل على محاولة الإحاطة بمجموع الأحداث التي طبعت الحركات الطلابية في القرن العشرين، على أن نتدارس التوجهات الحديثة للحركات الطلابية تلك في ظل أحداث القرن الحادي والعشرين.

---

(10) بيرم، «دور الحركات الطلابية والنخب الأفريقية في حركة تحرير أفريقيا: مساهمة تاريخية،» ص 185.

(11) Cheikh Anta Diop and Mercer Cook, *The African Origin of Civilization: Myth or Reality?* (New York: Lawrence Hill and Company Publisher Inc., 1974).

1 ـ الحركات الطلابية ورسم المشهد السياسي في القرن العشرين

أ ـ الانتفاضات الطلابية على الحرب في فيتنام (أمريكا/أوروبا)

مثلت التنظيمات الطلابية نبراس قيادة التغيير ومصدر إلهام لمختلف أطياف الفاعلين المجتمعين وتعاظم دور هاته الأخيرة خلال القرن العشرين، ولا سيّما بعد أحداث الحرب الأمريكية على فيتنام التي أشعلت فتيل الثورة الطلابية عبر بلدان العالم ولا سيّما أوروبا والأمريكيتين. خلقت قوة التنظيمات الطلابية والاحتجاجات التي قادتها نوعًا من الهلع في الأوساط السياسية على المستوى الدولي؛ فالانتفاضات الطلابية التي اجتاحت أمريكا عام 1968 بالتزامن مع الحرب على فيتنام سببت إحراجًا للمنظومة الأمريكية أمام المنتظم الدولي، فبعد أن قاد طلاب جامعة كولومبيا الاحتجاجات ضد سياسة الحرب الأمريكية على فيتنام ودعم الأبحاث حول الصناعات التسليحية ضد فيتنام، وبالموازاة مع الانتفاضات في الجامعات الأمريكية انتقلت شرارة تلك الانتفاضات نحو القارة العجوز أوروبا ولا سيّما فرنسا التي انطلقت منها شرارة الاحتجاجات من داخل الجامعات الفرنسية والباريسية، وخصوصًا جامعة نونتير وجامعة السوربون. وزادت رقعة الاحتجاجات ضد الحرب الأمريكية على فيتنام من جهة وعلى السياسة العامة الفرنسية بقيادة شارل ديغول ولا سيّما بعد محاولة قمع هاته التظاهرات، وتحولت الانتفاضات الطلابية تلك من انتفاضات طلابية إلى انتفاضة شعبية شارك فيها مختلف أطياف المجتمع من الأساتذة والعمال وغيرهم، الأمر الذي شل الاقتصاد الفرنسي لأيام. وانتقلت هاته الاحتجاجات نحو كل من ألمانيا وبولندا واليونان ضد الأنظمة الحاكمة التي تولدت عقب الحرب العالمية الثانية وغيرها.

ب ـ الانتفاضات الطلابية في ربيع براغ (تشيكوسلوفاكيا)

يشتهر ربيع براغ كأحد أهم الأحداث الاحتجاجية التي عرفتها أوروبا في العصر الحديث، ويُعرَّف بعبارات «ربيع الشعوب» و«ربيع الحرية» للدلالة على أهميته ومكانته داخل الأوساط الأوروبية. وقد أضحت هاته الاحتجاجات محطة بارزة في تاريخ أوروبا، ويعود الفضل فيها بصورة أساسية إلى الطلاب؛ فقد تحولت تظاهرة طلابية معتدلة في براغ بصورة عفوية (بمناسبة اليوم العالمي للطالب وإحياء ذكرى قتل الطالب جان أوبليتال المنحدر من كلية الطب جراء تظاهرة)، إلى موجة من الاحتجاج الشعبي العام تجاه النظام الشيوعي الحاكم وأصبحت أكبر احتجاج تشهده أوروبا في تاريخها، ولا سيّما بعد القمع الذي عرفته تلك الأخيرة، الأمر الذي وسّع من نطاق الاحتجاجات من بضعة آلاف إلى نحو ما يزيد على نصف مليون محتج في براغ وحدها، وانتقل ذلك إلى مجموع القارة الأوروبية، ليعرف بعد ذلك بـ«الثورة المخملية»؛ ثورة طلابية غيَّرت من مسار الشيوعية في أوروبا إلى الأبد[12].

---

(12) عبد الناصر محمد صبري القطوري، «الثورة المخملية بتشيكوسلوفاكيا 1989م،» **مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية**، العدد 20 (تشرين الأول/أكتوبر 2018)، ص 347 (بتصرف).

2 ـ التوجهات الحديثة للحركات الطلابية في القرن الحادي والعشرين

برز بريق الحركات الطلابية مرة أخرى على غرار المحطات السابقة في القرن الحادي والعشرين، وأضحت تشع بريقًا مرة أخرى، ولا سيّما مع بداية الألفية الجديدة، التي سنحاول معالجتها ونعرج على تدارس موقع الحركات الطلابية العربية في ظل ثورات الربيع العربي، وصولاً إلى دور هاته الأخيرة في الدفاع عن القضايا الإنسانية ولا سيّما تلك المتعلقة بحرب الإبادة الجماعية في غزة.

أ ـ توجهات الحركات الطلابية على المستوى الدولي في القرن الحادي والعشرين

بدأ مناخ الألفية الجديدة بنوع من الانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي؛ مناخ كان يسعى للتعافي من إخفاقات أصابت حقبة التسعينيات من القرن العشرين، ولا سيّما الاقتصادية والسياسية منها والتخلص من ويلات الحروب والنزاعات الإقليمية. إلا أن واقع الحال فرض منطقًا جديدًا مهّد لحقبة أكثر اضطرابًا في التاريخ الحديث، من أزمات مالية إلى أزمات سياسية واجتماعية وحروب ونزاعات ودمار بدأت معالمها مع بروز الإرهاب العالمي الذي ضرب مختلف العواصم العالمية، حتى العربية منها، والتي استدعى التعامل معها جهودًا دولية لشن حرب على الإرهاب، من جهة أخرى تنامت النزعات الإقليمية والحروب الأهلية والمجازر ضد الإنسانية.

وفي هذا الصدد استفاق المجتمع الدولي على وقع حرب إبادة جماعية في السودان في عام 2003 راح ضحيتها الآلاف، واستمرت إلى عام 2012 مع مجزرة استهدفت محتجين مجملهم من الطلاب وتلامذة المدارس، وتعرف بمجزرة نيالا 31 يوليو؛ حرب عجزت أمامها المحكمة الجنائية الدولية عن تحقيق العدلة الدولية ضد الجناة؛ حرب فتحت مسارًا طويلاً من الانتهاكات الدولية لحقوق الإنسان والقواعد الدولية الإنسانية[13].

بدأت الحقبة الجديدة بمناخ احتجاجي بامتياز، كان للطلاب فيه مكانة الصدارة هاته المرة، بكيفية أكثر فاعلية وتأثيرًا وبأقل الخسائر في الأرواح، وذلك راجع إلى تقدم مناخ حقوق الإنسان والحريات العامة من جهة وازدياد دور الصحافة والإعلام في نشر الحقائق والاحداث.

مع بداية سنة 2006 عرف الجنوب الأمريكي (الدولة اللاتينية تشيلي تحديدًا)، احتجاجات طلابية لم يسبق لها مثيل في القارتين الأمريكيتين. احتجاجات طلابية ضد النظام الديكتاتوري آنذاك، وبالخصوص ضد النظام التعليمي. وبالرغم من أن تلك الاحتجاجات خلفت وراءها عشرات القتلى في صفوف الطلاب إلا أنها وصفت بالأقوى مند عقود، واشتهرت مسمياتها بـ«الشتاء التشيلي» و«ثورة البطاريق»[14].

---

(13) المجموعة السودانية للديمقراطية أولاً، «مجزرة نيالا 31 يوليو: من الإبادة الجماعية إلى القمع العنصري للاحتجاجات،» **سودانيون**، 1/8/2024.

(14) Inés M. Pousadela, «Protest and Proposal, Participation and Representation: The Chilean =

لم تخمد تلك الاحتجاجات إلا قليلاً، وعادت إلى الظهور مرة أخرى على نحو أكثر اتساعًا بالتزامن مع الربيع العربي، أي من سنة 2011 واستمرت إلى 2013، سنوات من الانتفاضات الطلابية لم يجف لها جبين في وجه المطالبة بالتغيير.

ب ـ توجهات الحركات الطلابية العربية في ظل الربيع العربي

أما في المنطقة العربية، فعلى غرار الدور الذي أدّته الحركات الطلابية في مسلسل تحرير البلدان العربية، وخصوصًا شمال أفريقيا منها، في وجه الاحتلال الفرنسي والإسباني والبريطاني عبر مجموع المحطات التاريخية سابقة الذكر، إلا أن الحركات الطلابية التي سادت في بدايات عام 2011 تمثل محطة بارزة بل الأبرز في تاريخ الحركات الطلابية والاحتجاجات في تاريخ المنطقة العربية، ألا وهي الربيع العربي. وتعدّ هاته المرحلة نقلة تاريخية في مستقبل المنطقة وبالتالي فإن هذه المحطة لا يمكن القفز من فوقها، إذ تمثل الحركات الطلابية المحرك الرئيس بل الوحيد لهاته الاحتجاجات، وقد مثل المحيط الطلابي في بداية سنة 2011 نقطة الانطلاق الأولى لشرارات احتجاجات الربيع العربي.

يشتهر ربيع براغ كأحد أهم الأحداث الاحتجاجية التي عرفتها أوروبا في العصر الحديث، ويُعرف بعبارات «ربيع الشعوب» و«ربيع الحرية» للدلالة على أهميته ومكانته داخل الأوساط الأوروبية. وقد أضحت هاته الاحتجاجات محطة بارزة في تاريخ أوروبا، ويعود الفضل فيها بصورة أساسية إلى الطلاب.

بدأت الاحتجاجات التي سيتم تسميتها في ما بعد «الربيع العربي» عقب وفاة شاب في تونس تلتها احتجاجات شعبية كبيرة في صفوف الشباب والطلاب بوجه خاص، والتي أطاحت نظام بن علي، وتكررت في مصر باحتجاجات طلابية واسعة تميزت بالعنف. كانت الاحتجاجات تطالب بإسقاط نظام حسني مبارك حركة طلابية بامتياز، فقد تحرك مجمل طلاب الجامعات المصرية ولا سيّما جامعتي القاهرة والاسكندرية وغيرهما نحو الاعتصام في ميدان التحرير لمدة تزيد على نصف شهر. تزعم الشباب والطلاب الحركات الطلابية ما يسمى «ائتلاف شباب الثورة»، ومثّل هؤلاء الطلبة نواة ما يعرف بـ «جمعة الغضب» ومحركها، وانضم إليهم المثقفون والسياسيون وغيرهم ضد نظام حسني مبارك. ليس هذا وحسب، بل في مجمل بلدان الربيع العربي كان الطلاب يمثلون نقطة انطلاق شرارات الاحتجاجات كما هي الحال مع سورية ولبنان الجزائر والمغرب دول الخليج، وحتى في اليمن حيث اتخذ الطلاب من ساحة التغيير المقابلة لجامعة صنعاء موقعًا لاحتجاجات الربيع العربي تلك.

بوجه عام، مثّل الجسم الطلابي في توارث الربيع العربي ـ بعيدًا من تقييم مدى نجاحها أو فشلها ـ منطلقًا نحو التأسيس لمرحلة يمكن وصفها بالمتقدمة قياسًا على ما كانت عليه ولا سيّما

Student Movement, 2011–12,» *Development in Practice*, vol. 23, nos. 5-6, special issue: Civil Societies at Crossroads: Eruptions, Initiatives, and Evolution in Citizen Activism (August 2013), p. 685. =

على المستوى الحقوقي مع بعض التحفظات، لكن من جهة أخرى عملت الحكومات العربية على تدارس خطر الحركات الطلابية، وعملت منذ تلك المحطة على حصر التحركات الطلابية وتطويقها بصورة خفية حيث تكون معه الأنظمة خارج المواجهة المباشرة مع الطلبة، وهو ما يمكن أن يسفر عنه ربيع آخر. غير أنه في ما يتعلق بالوضع المغربي قبل الربيع العربي يكتسي خصوصية، حيث يمكن تقييم الجسم الطلابي من خلال التنظيمات الطلابية بأنها كانت فاشلة، بل يمكن وصفها بالحالة السامة، إذ شهد المحيط الطلابي في حقبة التسعينيات تناحرًا وتقاتلاً تارة، وتارة أخرى يتحول إلى مواجهات عنيفة ودموية بحسب وصف البعض بين مجموع التيارات الطلابية داخل الجامعات المغربية والتي كانت تعرف بـ «الفصائل الطلابية»؛ تناحرٌ كان يخفي تصفية لحسابات وصراعات الأحزاب السياسية المغربية كانت تنقله من إطاره وبيئته السليمة. كانت المؤسسة التشريعية تنقله نحو المحيط الأكاديمي وتغذي من خلاله أيديولوجيات وفصائل وتيارات اختلفت بين اليسارية والاشتراكية والقاعدية والإسلامية وغيرها، وتم استغلال هاته التنظيمات الطلابية وجعلها تحت تأثير أحزاب وحركات ومجموعات مشبوهة لمعارضتها للدولة وبتوجهها الإسلاموي الراديكالي في بعض الأحيان.

ج ـ التوجهات الحديثة للحركات الطلابية في الدفاع عن القضايا الإنسانية (الإبادة الجماعية في غزة نموذجًا)

بصورة عامة، برزت مكانة الحركات الطلابية جليًّا في القرن الحادي والعشرين وتعددت اهتماماتها، بل إن الحركات الطلابية تشبعت أكثر فأكثر وأخذت تنبني إشكالات مجتمعية حقيقة تتفاوت بين الحريات والحقوق الثقافية والسياسية والحقوق الجنسانية ـ بما في ذلك حقوق مجتمع الميم ـ وصولاً إلى الدفاع عن البيئة وحماية الطبيعة ولا سيّما مع حركة طلابية وتلامذية ظهرت في أوائل سنة 2019 والتي عملت على تنظيمات احتجاجات والتي عرفت بـ «جمعة من أجل المستقبل» والتي انطلقت من برلين في ألمانيا وسرعان ما اجتاحت معظم دول القارة الأوروبية والتي استمرت لشهور كانت غايتها دفع الحكومات إلى تغيير سياستها غير الصديقة للبيئة، وكذا التوعية ونشر الوعي حول التغيير المناخي وتأثيره في الشباب، وهو ما حدا بالحكومات الأوروبية وكذا المنتظم الدولي على إيلاء أهمية قصوى لمواجهة التغيرات المناخية.

ليس هذا وحسب، بل أضحت الاحتجاجات الطلابية تتأثر هي الأخرى بقضايا إنسانية واجتماعية من قبيل التمييز العنصري والظلم وغيرها وتجسد دور الطلاب في الاحتجاجات في مجموعة من المناسبات، من بينها الاحتجاجات التي أعقبت مقتل جورج فلويد في أمريكا وعمل الطلاب ـ إلى جانب الفاعلين الحقوقيين ـ على تأسيس ما يسمى «حياة السود مهمة»، علاوة على ذلك برز دور الحركات الطلابية في أوروبا مرة أخرى عقب مقتل الفتى الجزائري نايل مرزوق في نانتير في فرنسا.

في الخريف الماضي، برز جليًّا دور الحركات الطلابية في الدفع نحو رسم المشهد السياسي حيث تصدرت الاحتجاجات الطلابية ضد الانتهاكات والجرائم الإسرائيلية ضد الإنسانية في حق الفلسطينيين التي برزت في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، ولا سيّما فرنسا. استمر المشهد

السياسي الدولي لأشهر، حيث انطلقت الاحتجاجات الطلابية من جامعة كولومبيا وانتقلت نحو جامعات هارفارد وكاليفورنيا ومشيغن ومنيسوتا وبنسلفينيا، ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وقد نجحت الحركات الطلابية في استقطاب الرأي العام الدولي وسلطت الضوء على جرائم الاحتلال التي تقع في غزة. نجحت هذه التحركات في الدفع نحو سحب استمارات بعض الجامعات من كل ما يتعلق من قريب أو بعيد بالكيان الاسرائيلي والعمل على حث الإدارة الأمريكية لأخذ مواقف جدية وصريحة مما يقع في غزة والعمل نحو قيادة مشروع لوقف إطلاق النار، ليس هذا فقط بل استطاعت الاحتجاجات الطلابية بعد أن دفعت نحو مثول رؤساء جامعات هارفارد وماساتشوستس وبنسلفينيا ومعهم كاليفورنيا أمام الكونغرس الأمريكي (أسفر عنه لاحقًا استقالة مجموع رؤساء الجامعات سابقة الذكر من رئيسة جامعة هارفارد وصولاً إلى رئيسة جامعة كاليفورنيا نعمة شفيق).

مثّل الجسم الطلابي في ثورات الربيع العربي ـ بعيدًا من تقييم مدى نجاحها أو فشلها ـ منطلقًا نحو التأسيس لمرحلة يمكن وصفها بالمتقدمة قياسًا على ما كانت عليه ولا سيّما على المستوى الحقوقي مع بعض التحفظات، لكن من جهة أخرى عملت الحكومات العربية على تدارس خطر الحركات الطلابية.

امتدت شرارات الاحتجاجات التي شملت الجامعات الأمريكية نحو جامعات العالم، ولا سيّما في فرنسا وأوروبا وآسيا، هاته الاحتجاجات قد أعادت مكانة الحركات والتنظيمات الطلابية داخل المشهد السياسي على المستوى الدولي، بل استطاعت تلك الاحتجاجات تغيير موازين القوى والتأثير في صناعة قرارات لم يكن خروجها ممكنًا لولا التأثير الذي أحدثته تلك الاحتجاجات الطلابية في مسار صنع القرار على أكثر من صعيد دولي وعربي وأممي. واستطاعت التنظيمات الطلابية أن تتفوق على جهود الفاعلين الرسميين وخارج الهياكل الأممية بوجه خاص والمجتمع الدولي بعامة، بل يمكن القول بتفوقها على جهود دول بعينها وحتى جهود جامعات للضغط سواء كانت تدافع عن القضية الفلسطينية أو كانت تحارب ضد إيصال الحقيقة.

غير أن نجاح هاته الانتفاضات الطلابية لم يلقَ زخمه في الأوساط العربية حيث غابت الحركات الطلابية العربية عن اللحاق بهذا المناخ الاحتجاجي، وهو ما يمكن النظر إليه على أنه خيانة للجسم الطلابي الدولي، كون القضية المنتفض بشأنها قضية عربية في المقام الأول قبل أن تكون دولية، فغياب الفاعل الطلابي العربي هو معطى أفقد بريقًا كان سينضاف إلى هاته المحطة التاريخية. يمكن أن يعزى هذا الشغور العربي إلى المحددات سابقة الذكر التي تمخضت عن مخرجات الربيع العربي، لكن هذا لا يمكن النظر إليه كفشل، بل إن الاحتجاجات الشعبية الأخيرة في الولايات المتحدة وأوروبا لها الدور الأهم والأكبر في تسليط الضوء على الإبادة الجماعية ليس اليوم فقط بل على مر بداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.

أخذت مكانة التنظيمات الطلابية في التعاظم والتأثير بصورة ملحوظة وكبيرة في مسار العملية السياسية سواء على المستوى الوطني أو الدولي، بل إن هاته الحركات الطلابية أضحت

قادرة على إعادة رسم المشهد السياسي في الدولة بل إعادة تكوين الدولة بنفسها؛ وظهر ذلك جليًّا من خلال مجموعة من المحطات سابقة الذكر، آخرها الاحتجاجات الطلابية في بنغلاديش التي استطاعت إطاحة حكم رئيسة البلاد من منصبها المتوارث كرئيسة للبلاد في ظرف أيام معدودة ومعها مجموعة من الوزراء والسياسيين والمطالبة باستقالة رئيس المحكمة العليا إذ وصلت حد المطالبة بالتغييرات في المنظومة القضائية للبلاد، مطالب حتى الانقلابات العسكرية لم تستطع أن تتجاوزها، إذ كثيرًا ما ظل النظام القضائي للدولة في معزل عن التأثير فيه. إن مطالبة الطلبة البنغلادشيين باستقالة ومحاسبة رئيس المحكمة العليا بسبب عدم التحقيق في ملابسات مقتل ما يزيد على 100 طالب في أثناء الاحتجاجات مطلب يمكن وصفه بالجريء، بل المثير للاهتمام، في دراسة الحالة البنغلادشية هاته، كون الحركات الطلابية تلك بقوتها وتأثيرها استطاعت إخراج الأمن والجيش من الخدمة بشكل طوعي خشية منهم لمواجهة الطلاب، وأصبح بذلك الطلاب يحتكرون مهام الشرطة والجيش في تنظيم الطرقات وصد الجريمة والتنظيف وتنظيم البلاد وغيرها، بل تعدى نفوذ هاته الحركات الطلابية من احتكار مهام حيوية وحساسة في البلاد إلى احتكارهم سلطة اختيار وتحديد رئيس للحكومة المؤقتة والذي هو أستاذ جامعي، وهذا ما يطرح معه السؤال حول مدى توغل وتأثير الفاعلين الأكاديميين وجماعات الضغط والمعارضة داخل هاته التنظيمات الطلابية في مسلسل الحراك الطلابي هذا.

خاتمة

أخذت قوة التنظيمات والحركات الطلابية ونفوذها في الازدياد بفعل استقطاب الشباب بوصفهم الفئة العمرية الأكثر حيوية وحساسية في الوقت نفسه، وكذا بوصفهم منطلقًا للتفكير كما التغيير. فالشباب يمثل هيكلة الجسم الطلابي وهذا الأخير أضحت نفوذه تتعاظم فينة بعد أخرى ولا سيّما بعد خروجه عن أساليبه التقليدية في التأثير نحو تبني ميكانيزمات للتأثير كما هي الحال مع الاحتجاجات الطلابية في وجه الحكومات والقضايا المشتركة، والذي يعني من جهته نفور هاته الأخيرة في وجه الفاعلين الحكوميين كما السياسيين من إخفاق هؤلاء الآخرين في احتواء التوجهات والأفكار والأيديولوجيات التي يؤمن بها الشباب، والتي يتم تجاهلها أو يتم كتمانها من جانب المجتمع، فتجد في المجتمع الأكاديمي والمحيط الجامعي بيئة سليمة وآمنة لممارسة والتعبير عن تلك الأفكار.

إن الاحتجاجات الطلابية تلك، والتأثير الذي تحدثه، أصبحت موضع قلق ينتاب مجمل الحكومات، فالانتفاضات الطلابية حتى وإن كانت عفوية ضد مشاكل مجتمعية حقيقة، إلا أنها في معظم الأحيان لا تكون بريئة بل مدفوعة بمجموعة من العوامل ويتم تغذيتها ببروباغاندا تدفعها لأخذ طابعها الاحتجاجي، وتحمل هاته البروباغندا سواء من جانب الجسم الأكاديمي أو من الأحزاب السياسية أغلبية ومعارضة والتي تتلطى خلف تنظيمات طلابية للتأثير في السياسات العمومية والاوضاع العامة للدولة. ويمكن أن تتشبع الحركات الطلابية أيضًا من جانب جماعات الضغط والنقابات والإعلام وغيرهم.

في مجمل الأحيان، حتى وإن كان تمييز هاته المحددات يصعب على العامة إلا أن الحكومات تعي تمامًا خلفيات تلك الاحتجاجات الطلابية والمتحكم فيها، بل وتؤثر فيها ومن خلالها في

أحيان أخرى، وتخرج الاحتجاجات الطلابية مفرغة غير محققة الأهداف التي جاءت من أجلها، إلا أنها تحقق رغبة داعميها والمتحكمين فيها وأهدافهم السياسية والشخصية في معظم الأحيان.

بوجه عام، لا أحد يمكنه نكران دور الحركات الطلابية في تكوين مستقبل الكثير من الدول الذي أسهم في صناعة حاضرها ولا سيّما دول الشمال الأفريقية من خلال الدفع نحو استقلالها، إلى جانب مجموعة من المحطات التاريخية البارزة التي أثرت تارة بالسلب، لكن معظم الأحيان بالإيجاب في مستقبل شعوب ومستقبل البشرية بعامة.

إننا اليوم ندشن مرحلة جديدة من توسع الحركات الطلابية في مختلف الأقطار وتأثيرها الملحوظ في مسلسل صناعة القرار الدولي، الذي أضحى يمثل منطلقًا نحو ضرورة العمل على احتواء هاته الظاهرة المجتمعية التي نمت داخل كنف محيط راقٍ؛ محيط يشكل مرآة المجتمع ومستقبله. لم يعد المحيط الجامعي والأكاديمي منغلقًا على نفسه، بل أضحى يؤثر بصورة مباشرة في المجتمع من خلال الجسم الطلابي، متفوقًا على مجموعة مما يمكن وصفها بالمجتمعات المصغرة بما فيها المجتمع الوظيفي والنقابي، والمجتمع المدني والجمعوي والمجتمع السياسي والحزبي ممن أصبحوا غير قادرين على التأثير بشكل جلي في مسار رسم السياسات والتأثير فيها على مختلف المستويات الوطنية كما الدولية. إن ازدياد نفوذ الحركات الطلابية يسألنا اليوم فاعلين حكوميين وسياسيين ومؤسساتيين حول توفير بيئة سليمة لاحتواء هاته الحركات والتنظيمات الطلابية بشكل فاعل ومسؤول، وتوفير مكانة منتجة لهاته الحركات داخل مسلسل العملية السياسية من خلال إشراكهم في صلب الحياة السياسية وعدم تهميش دورهم الفاعل داخل المجتمع المحلي والدولي.

أخذت مكانة التنظيمات الطلابية في التعاظم والتأثير بصورة ملحوظة وكبيرة في مسار العملية السياسية سواء على المستوى الوطني أو الدولي، بل إن هاته الحركات الطلابية أضحت قادرة على إعادة رسم المشهد السياسي في الدولة بل إعادة تكوين الدولة بنفسها.

يصدق القول على أن الحركات الطلابية أثبتت نفسها كقوة لا يستهان بها في قيادة التغيير، من خلال نضالها وتضحيتها المستمرة وعبر مجموع المحطات التاريخية فالحركات الطلابية لا تعدو أن تكون مجرد ظاهرة عابرة، بل هي جزء لا يتجزأ من النسيج المجتمعي تؤثر وتتأثر بمحيطها وتتطلع إلى أخذ مكانتها داخل المجتمع والمجتمع السياسي بوجه خاص.

تمثل الحركة الطلابية اليوم مصدر إلهام للأجيال القادمة وشرارة أمل، تحمل في طياتها القدرة على بناء مستقبل زاهر لدول العالم، مستقبل يرقى إلى تطلع شعوب العالم، ويسود من خلاله السلم والأمن ويحقق معه الازدهار والرفاه ويقطع مع الانتهاكات في حق الحقوق والحريات والحروب والصراعات؛ مستقبل ينعم بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، ويضمن عدالة اجتماعية واقتصادية للجميع، وتكون معه البشرية قد نجحت في تخطي آثار التغيير المناخي نجحت في تطويق الفقر والمجاعة وغيرها الكثير من التحديات الحالية والمستقبلية □